

## مع الصاحبين

عَنْ أَبِي يَوْسُفَ، قَالَ: كُنْتُ أَطْلُبُ الْحَدِيثَ وَالْفَقْهَ وَأَنَا مُقِلٌّ رَثَّ الْحَالِ، فَجَاءَ أَبِي يَوْمًا وَأَنَا عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، فَانصرفتُ مَعَهُ، فَقَالَ: يَا بَنِي لَا تَمْدَنَّ رَجْلَكَ مَعَ أَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ خُبْرُهُ مَشْوِي، وَأَنْتَ تَحْتَاجُ إِلَى الْمَعَاشِ، فَقَصَرْتُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الطَّلَبِ، وَآثَرْتُ طَاعَةَ أَبِي، فَتَفَقَدَنِي أَبُو حَنِيفَةَ وَسَأَلَ عَنِّي، فَجَعَلْتُ أَتَعَاهَدُ مَجْلِسَهُ، فَلَمَّا كَانَ أَوَّلَ يَوْمٍ أَتَيْتُهُ بَعْدَ تَأْخِرِي عَنْهُ، قَالَ لِي: مَا شَغَلَكَ عَنَّا؟ قُلْتُ: الشَّغْلُ بِالْمَعَاشِ، وَطَاعَةُ وَالِدِي، فَجَلَسْتُ فَلَمَّا انصَرَفَ النَّاسُ دَفَعَ إِلَيَّ صُرَّةً، وَقَالَ: اسْتَمْتِعْ بِهَذِهِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا مِائَةُ دِرْهَمٍ، فَقَالَ لِي: الزِّمِ الْحَلْقَةَ، وَإِذَا نَفَدَتْ هَذِهِ فَأَعْلَمْنِي، فَلَزِمْتُ الْحَلْقَةَ فَلَمَّا مَضَتْ مَدَّةُ يَسِيرَةٍ دَفَعَ إِلَيَّ مِائَةَ أُخْرَى، ثُمَّ كَانَ يَتَعَاهَدُنِي، وَمَا أَعْلَمْتُهُ بِخَلَّةٍ قَطُّ وَلَا أَخْبَرْتُهُ بِنَفَادِ شَيْءٍ، وَكَانَ كَأَنَّهُ يُخَبِّرُ بِنَفَادِهَا حَتَّى اسْتَغْنَيْتُ وَتَمَوَّلْتُ.

وَحَكِي: أَنَّ وَالِدَ أَبِي يَوْسُفَ مَاتَ وَخَلَّفَ أَبَا يَوْسُفَ طِفْلاً صَغِيراً، وَأَنَّ أُمَّهُ هِيَ الَّتِي أَنْكَرَتْ عَلَيْهِ حُضُورَهُ حَلْقَةَ أَبِي حَنِيفَةَ، كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زِيَادِ النَّقَاشِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّامِيَّ أَخْبَرَهُمْ بِهَرَاةٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَبُو يَوْسُفَ الْقَاضِي، قَالَ: ثَوَّفَنِي أَبِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَبِيبٍ وَخَلَّفَنِي صَغِيراً فِي حِجْرِ أُمِّي، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَى قِصَّارٍ أَخْدَمَهُ، فَكُنْتُ أَدْعِي الْقِصَّارَ وَأَمُرُّ إِلَى حَلْقَةِ أَبِي حَنِيفَةَ فَأَجْلِسُ أَسْتَمِعُ، فَكَانَتْ أُمِّي تَجِيءُ خَلْفِي إِلَى الْحَلْقَةِ، فَتَأْخُذُ بِيَدِي وَتَذْهَبُ بِي إِلَى الْقِصَّارِ، وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يُعْنَى بِي لَمَّا يَرَى مِنْ حُضُورِي وَحِرْصِي عَلَى التَّعَلُّمِ، فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَى أُمِّي وَطَالَ عَلَيْهَا

هربي، قَالَتْ لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فسادٌ غيرك، هذا صبيٌّ يتيمٌ لا شيءَ له، وإنما أطعمه من مغزلي، وآملُ أن يكسبَ دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مُري يا رعاء هذا هو ذا يتعلم أكل الفالودج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخٌ قد خرفت وذهب عقلك، ثمَّ لزمته فنفعني الله بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيدَ وأكل معه على مائدته، فلما كَانَ في بعض الأيام قدم إلي هارون فالودجة، فقال لي هارون: يا يعقوب كُل منه، فليس في كل يوم يُعمل لنا مثلها، فقلتُ: وما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالودجة بدهن الفستق، فضحكتُ، فقال لي: مِمَّ ضحكت؟ فقلتُ: خيرًا، أبقى الله أمير المؤمنين، قَالَ: لتخبرني وألح عليّ، فخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك، وقال: لعمرى إن العلم ليرفعُ، وينفع دينًا ودنيا، وترحَّم على أبي حنيفة، وقال: كَانَ ينظرُ بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.



عن الشافعي قال: ما رأيت أحدًا قطُّ إذا تكلم رأيت القرآن نزل بلغته إلا محمد بن الحسن فإنه كان إذا تكلم رأيت القرآن نزل بلغته ولقد كتبت عنه جملَ بعير ذكر، وإنما قلت ذكر لأنه بلغني أنه يحمل أكثر مما تحمل الأنثى.

عن الشافعي قال: ما رأيت رجلًا أعلم بالحرام والحلال والعلل والناسخ والمنسوخ من محمد بن الحسن.

عن الشافعي قال: إني لأعرف الأستاذية: علي لمالك ثم لمحمد بن الحسن.

عن الشافعي قال: لو أن صف الناس الفقهاء لعلموا أنهم لم يروا مثل محمد بن الحسن، ما جالست فقيهاً قطُّ أفقه منه ولا فتقَّ لساني بالفقه مثله، لقد كان يحسن من الفقه وأسبابه شيئاً يعجزُ عنه الأكابر.

عن أبي عبيد قال: قدمت على محمد بن الحسن فرأيت الشافعي عنده، فسأله عن شيء فأجابني فاستحسن الجواب وأخذ شيئاً وكتب فيه فرآه محمد بن الحسن فوهب له مائة درهم، وقال له الزم إن كنت تشتهي العلم.

عن الشافعي قال: لقد كتبت عن محمد بن الحسن وقرّ بعير، ولولاه ما فتق لي من العلم ما انفتق، فالناس كلهم في الفقه عيال على أهل العراق، وأهل العراق عيال على أهل الكوفة، وأهل الكوفة كلهم عيال على أبي حنيفة.

عن المزني قال لرجل: من جالست؟ قال: أصحاب محمد بن الحسن قال: كانوا والله يملؤون الأذان إذا تكلموا ويفتحون للفقهاء ما ينغلق عليهم إذا غفلوا، فنظر إليه أصحابه، فقال: والله ما أنا قلته من قبل نفسي حتى سمعت الشافعي يقول ما هو أكثر منه.

عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أفصح من محمد بن الحسن، كنت إذا سمعته يقرأ كأن القرآن نزل بلغته.

عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: ما سألت أحداً عن مسألة إلا تبين لي تغير وجهه إلا محمد بن الحسن.

المصدر: تاريخ بغداد، أخبار أبي حنيفة وأصحابه

